حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٧ (عدد يناير – مارس ٢٠١٩)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

نماذج عن الحياة الاقتصادية لمصر من خلال مؤلفات ابن تغري بردي(عصر المماليك)

(٨١٣-٨٧٤هـ/ ١٤١٠-١٤٧٠م)

منيرة بنت مدعث القحطاني *

أستاذ التاريخ المشارك بقسم التاريخ – كلية الآداب
جامعة الأميرة نوره بنت عبد الرحمن

المستخلص

يعد المؤرخ ابن تغري بردي (٨١٣-٨٧٤هـ/١٤١٠-١٤٧٠م) أحد أهم علماء التاريخ والحضارة الإسلامية؛ إذ انكب منذ نعومة أظفاره على الدرس والتفقه، فمكنه ذلك من الاطلاع على علوم عدة مع تخصصه بمجال التأليف في التاريخ، وكان لانتسابه إلى المماليك أعظم الأثر في الاطلاع على مجريات الأحداث، والتفاصيل الدقيقة لسلاطين المماليك، ثم تدوينها، وهذا ما أكسب مؤلفاته أهمية كبيرة، فضلاً عن اتصاف كتاباته بالدقة والموضوعية؛ ولهذا اشتهر ابن تغري بردي بغزارة مؤلفاته. مما دفعني لاختيار هذا الموضوع الذي سوف أتناول فيه أعمال ابن تغري بردي المهتمة بالجوانب الاقتصادية، وحيث احتوت كتاباته على معلومات دقيقة فيما يتعلق بالناحية الاقتصادية، وضحت من خلال ما تناوله في العديد من المسائل الاقتصادية. وهذا ما سوف يظهر في تقسيمات البحث.

حيث قسمت الدراسة إلى: تمهيد تناول دراسة سريعة لسيرة المؤرخ وعصره، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وجاء المبحث الأول دراسة للنشاط الزراعي من خلال كتاباته والتي تضمنت الزراعة والري، كما تناول فيها أيضاً أنواع المحاصيل الزراعية والثروات الحيوانية. وخصصت المبحث الثاني لتناول النشاط الصناعي في كتاباته والتي شملت الحديث عن الصناعة والرقابة عليها ومع إبراز لأهم هذه الصناعات الموجودة في تلك الفترة. وجاء المبحث الثالث ليدرُس النشاط التجاري، حيث شمل دراسة للتجارة، وأهم المراكز التجارية لمصر، وأثرها على التجارة الخارجية، والتجارة الداخلية، وأهم والأسواق في تلك الفترة والرقابة عليها. وجاءت الخاتمة في نهاية البحث موضحة لأهم النتائج والتوصيات.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

التمـهيـد
التعريف بابن تغري بردي وعصره

نشأته :

هو يوسف بن تغري بردي [١]، بن عبد الله الظاهري الحنفي أبو المحاسن جمال الدين المعروف بابن تغري بردي.

ولد بالقاهرة سنة ٨١٣هـ/ ١٤١٠م، بدار منجك اليوسفي، كان أبوه من كبار أمراء المماليك في عهد السلطان الظاهر سيف الدين برقوق وابنه الناصر فرج بن برقوق، وتتلمذ على أيدي كبار مشايخ عصره، أمثال قاضي القضاة، جمال الدين البلقيني، وابن حجر العسقلاني، كما لازم مجلس تقي الدين المقريزي وتعلم منه حب التاريخ[٢]. وهكذا فإنه يتضح أن يوسف بن تغري بردي تميز عن كثير من مؤرخي عصره بانتسابه إلى بيت عريق، وسلالة مملوكية تمت بعلاقات نسب ومصاهرة مع عدد من السلاطين وأولادهم وكبار رجالات الدولة المملوكية، ولكنه لم يتولى أي منصب من مناصب الدولة، وربما يعود السبب وراء هذا العزوف أنه كان يعيش في سعة كاملة مما جعله قادراً على الاستغناء عن المناصب وتفرغ إلى شغفه بالتاريخ والتأليف، وكرس لذلك معظم وقته.[٣]

كما اهتم بالفروسية وتعلم الفقه والشعر، وكان يتقن اللغتين العربية والتركية، إلا أن دراسة التاريخ كانت قد استهوته وساعده على ذلك اتصاله بالبلاد السلطاني حيث توالى عليه في عصره ستة عشر سلطاناً [٤]، من سلاطين المماليك الجراكسة[٥]. بالإضافة إلى كبار الأمراء وأرباب السياسة مما جعله يطلع على كثير من المعلومات ويصبح من كبار المؤرخين. وقد توج ذلك بمجموعة من المؤلفات والكتب النفيسة في تاريخ مصر، وكان من أهم مؤلفاته وأشهرها وأضخمها كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وهو سرد لتاريخ مصر منذ الفتح الإسلامي إلى عصره وانتهى فيه إلى ٨٧٠هـ- ١٤٦٧م، وقد اتخذ ابن تغري في كتابته لهذا الكتاب منهجاً متميزاً، حيث لم تقتصر كتاباته على التاريخ السياسي ، فشملت التاريخ الحضاري والعمراني، ويعد تسجيل التاريخ الحضاري مع التاريخ السياسي إحدى مميزاته.[٦]

أما عن وفاته فقد كان ابن تغري بردي قد ابتنى له قبل موته تربة هائلة بالقرب من تربة السلطان الأشرف إينال، ووقف كتبه وتصانيفه بها، وتعلل قبل موته بنحو عام بمرض عضال ألم به، حتى أنه تمنى الموت لشدة ما قاساه من الألم إلى أن توفي يوم الثلاثاء ٥ ذي الحجة سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م، ودفن من الغد في تربته تاركاً عشرة أولاد ستة من الذكور وأربع من الإناث.[٧]

سمات عصره :

كما سبق القول، أن ابن تغري بردي عاش ما بين سنتي (٨١٣-٨٧٤هـ/ ١٤١٠-١٤٧٠م) وبذلك يكون عاصر ستة عشر سلطاناً من سلاطين المماليك الجراكسة، وهذه الحقبة تمثل القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وكانت دولة المماليك في تلك الفترة قد وصلت أقصى نفوذها وتوسعها، فامتدت إلى أعالي الفرات، والأطراف الشمالية لاسيا الصغرى، مع سيطرتهم على الشام ومصر، مما أتاح لهم التمتع بمركز دولي ممتاز لا سيما في العالم الإسلامي[٨].

واستطاع سلاطين المماليك تحجيم الخطر المغولي فمنذ سنة (٨٠٣هـ/١٤٠٠م) بدأت بلاد الشام، ومصر تتعرض لخطر تيمورلنك[٩]، وذلك أيام السلطان الناصر فرج بن برقوق (٨٠١-٨١٥هـ/ ١٣٩٨-١٤١٢م)، وقد استنزف هذا الخطر الأموال الطائلة التي تحملتها خزائن الدولة. ولما تمكن السلاطين المماليك من القضاء على خطر القبارصة الذين

كانوا يهددون السواحل الشامية والمصرية، فجهز السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢١-١٤٣٧م) حملة سنة (٨٢٩هـ/١٤٢٥م)، واستطاع فتح الجزيرة، وأجبر حكامها على دفع الجزية له [١٠].

أما عن علاقة المماليك بباقي أبناء المجتمع فقد عاش المماليك منفصلين عن غيرهم من الطبقات الأخرى، واحتفظوا بشخصيتهم الخاصة بهم، ومنعوا غيرهم من التزاوج معهم إلا فيما ندر[١١]، ومنعوا أبناء الشعب من الدخول في الجيش إلا في بعض الأعمال غير العسكرية كوظائف القلم[١٢].

وقد كان لإحياء الخلافة العباسية بمصر بعد سقوطها على أيدي التتار (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، فضلاً في الراحة النفسية التي عاشها أهل مصر تحت كنف السلاطين، وتوافر المال أيام دولة المماليك المتأتي من عشور التجارة[١٣]، إضافة إلى ما استحدثه سلاطين مصر من ضرائب ومكوس فرضت على أبناء الشعب، كل ذلك جعل خزائنها في أغلب الأحيان مليئة بالأموال، على الرغم أن عصر المماليك لم يكن عصراً هادئاً، وإنما كان حافلاً بالأحداث الداخلية والخارجية غنياً برجاله وأبطاله.

المبحث الأول : النشاط الزراعي

اهتم السلاطين المماليك بالزراعة لكونها مصدراً هاماً من مصادر الدخل، ووضح ذلك من خلال ما أبرزه ابن تغري بردي في كتبه عن اهتمام حكام مصر وسلاطينها بالزراعة والري إلى درجة أنهم سخَّروا العامة للعمل في حفر الأنهار، والخلجان وغيرها من مشاريع الري، وأفضل مثال على ذلك، المشاريع الإروائية التي قام بها السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٧٠٩-٧٤١هـ/ ١٣٠٩-١٣٤٠م) الذي عمل على حفر الأنهار والخلجان، وإنشاء القناطر والجسور، مما أدى إلى زيادة الخراج في كافة أرجاء مصر، ولم نسمع حدوث حالات من الغلاء؛ وهذا يعود إلى سياسته الاقتصادية المحكمة، فأصدر في عام (٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م) أوامره بحفر خليج الخور، حتى أن والي القاهرة صار يقبض على الناس الذين في الطرقات، أو الجوامع، ويأخذهم للعمل فيه سُخرة، فأنجز خلال شهر، وأنشئت عليه العديد من الجسور[١٤].

كما تنوعتت وسائل الري للزراعة في مصر من منطقة إلى أخرى، وتحدث ابن تغري بردي عن ذلك حيث ذكر لنا عن اختلاف وسائل الري من منطقة إلى أخرى، ففي المناطق التي تتوفر فيها الأنهار، اعتمد الفلاحون على مياه الأنهار لري أراضيهم، في حين اعتمدوا في مناطق أخرى على الآبار، أو الأمطار في الري، وكانت زراعة المحاصيل تتم مرتين في السنة [١٥].

كما أبرز في كتاباته عن الحياة الزراعية جملة من المعوقات التي كانت تؤثر سلباً في الزراعة، والإنتاج الزراعي، ومنها قلة مياه الري، فكما هو معروف أن مصر تعتمد في ري الأراضي الزراعية بالدرجة الأولى على مياه نهر النيل، وبسبب قلة مناسيبه في بعض السنوات زادت أسعار المحاصيل، كما حصل في سنة (٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م) أيام الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٥-١٠٩٤م). ومع اهتمام الفاطميين بالري إلا أن عهدهم لم يخل من حالات الغلاء التي أثرت في الإنتاج الزراعي، وكان من نتائج قلة مياه النيل أيضاً زيادة أسعار أطيان الأراضي الزراعية كما حصل في غلاء سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م). [١٦]

وكان لقلة مياه الأمطار أن سبب عرقلة في النشاط الزراعي[١٧]، ومن معوقات الإنتاج الزراعي الأخطار التي تعرضت لها الأراضي الزراعية مثل خطر الآفات الزراعية

كالجراد الذي تعرضت له مدينة حلوان سنة (٣٤٧هـ/ ٩٥٨م) [١٨]. وكذلك آفة الدودة التي يتحدث عنها ابن تغري بردي[١٩] ضمن حوادث سنة (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) فيقول: "أكلت الدودة من القرط[٢٠] المزروع الأخضر ما لا يدخل تحت الحصر بسائر أقاليم مصر لاسيما إقليم الجيزية، والبهنساوية[٢١]، فإنها لم تدع فيه شيئاً إلا أتت عليه، وأعدمته".

وقد أسهمت الكوارث الطبيعية أيضاً في عرقلة الإنتاج الزراعي، ومن ثم دمار الأراضي الزراعية، وتلف المزروعات، ومنها تعرُّض المناطق الزراعية لهبوب الرياح القوية كما حصل سنة (٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م) عندما هبت ريح مريسية[٢٢] على الديار المصرية وأعقب ذلك بَرد شديد مما أدى إلى تجمد المحاصيل الزراعية ثم تلفها[٢٣]. ومن المشكلات التي اعترضت النشاط الزراعي إهمال أولي الأمر للزراعة، وعدم الاهتمام بتوفير المستلزمات الأساسية التي تتطلبها العملية الزراعية، خاصة في الفترة المتأخرة من حكم المماليك، مع حدوث حالات الشراقي المتكررة؛ لعدم وصول المياه إلى الأراضي الزراعية وريها، كما حصل في سنة (٨٥٩هـ/١٤٥٤م) عندما انقطع جسر بحر أبي منجا، وكذلك سد جيبين مما أدى إلى غرق الكثير من الأراضي الزراعية[٢٤].

وفي سنة (٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م) أغار الجند على الضياع ونهبوها مما أدى إلى فقدان الفاكهة من الأسواق لخوف الفلاحين من تعرضهم لحالات النهب[٢٥]. وكان من واجبات أولي الأمر هو توفير المستلزمات التي تساعد في الحصول على الإنتاج الزراعي، ومن هذه المستلزمات التقاوي[٢٦]، والأبقار التي كانت تقوم بعملية الحرث إلا أن سلاطين مصر لم يوفروا هذه المستلزمات للفلاحين مما أدى إلى حدوث الغلاء في أسعار المحاصيل. وكان للاضطرابات الداخلية، وعدم توفر الأمن في الطرق وحصول حالات النهب أثر في الإضرار بالزراعة، والإنتاج الزراعي. [٢٧]

أنواع المحاصيل الزراعية:

شاع في مصر زراعة مختلف أنواع المحاصيل الزراعية، التي اختلفت من منطقة إلى أخرى لاختلاف الأجواء التي تناسب كل محصول، ومن أهم المحاصيل القمح، والشعير، والذرة، والأرز. كما كان محصول القمح يشغل جزءاً كبيراً من مساحة الأراضي الزراعية، وهذا يعود إلى اعتماد أغلبية الناس في مأكلهم على الخبز؛ ولهذا فقد زُرع القمح في السهول والجبال، وخاصة في المناطق المعروفة بغزارة المياه؛ فكانت مصر ترسل سنوياً كميات كبيرة من القمح، والحبوب إلى الحجاز[٢٨].

من المحاصيل الأخرى التي ورد ذكرها عند مؤرخنا زراعة الخضراوات في أنحاء مختلفة منها نبات القلقاس وهو أشبه بالبطاطس، وكذلك كان يزرع بمصر نباتات الفقاع، والملوخيا. ويروى أن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م) كما يذكر ابن تغري بردي[٢٩] "أمَرَ بمنْع بيع الفقاع، "وكذلك يذكر أن الخليفة الحاكم "منع بيع العنب ومنع زراعته" حتى لا يستعمله أحد لعمل النبيذ، وأمر بقطع العديد من بساتين الكروم[٣٠]. وكذلك نهى الناس عن بيع الرطب، فجمع كميات كبيرة منه وأمر بإحراقها[٣١] للسبب نفسه. وكان البطيخ الصيفي من المحاصيل الشائع زراعتها بمصر[٣٢] وكذلك محصول الفول؛ إذ كان من المحاصيل الرئيسة في غذاء أهالي مصر[٣٣]، وكان لابن تغري بردي حرص شديد على ذكر سعر هذا المحصول.

الثروة الحيوانية:

عني أولو الأمر بالثروة الحيوانية؛ لما لها من أهمية في حياة الناس من ناحية، ولارتباطها بالزراعة من ناحية أخرى، حيث كان الفلاحون يستخدمون بعض الحيوانات التي كانت تعينهم في حراثة الأرض. وقد أولى الخلفاء الفاطميون الثروة الحيوانية اهتماماً

كبيراً، فمثلاً الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م) كان مهتماً بأمور الرعية، وإصلاح البلاد، وبالثروة الحيوانية، فأصدر أوامره سنة (٤١٧هـ/١٠٢٦م) عندما الفناء في ذوات الأربع، بمنع ذبح البقر السليم من العيوب التي تصلح للحرث، وأباح للناس ذبح ما لا يصلح للعمل[٣٤]. أما بعد ذلك فإن المؤرخ ابن تغري بردي لا يذكر لنا شيئاً حول اهتمام بقية الخلفاء الفاطميين، والسلاطين الأيوبيين، وبداية عصر المماليك بالثروة الحيوانية، ويستمر بسكوته حتى سنة (٧٣٨هـ/١٣٣٧م) في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٧٠٩-٧٤١هـ/١٣٠٩-١٣٤٠م) الذي اهتم بالثروة الحيوانية حتى أنه أمر بعمل حوش خاص للأبقار البلق في قلعة الجبل، وأمر أسرى الفرنج بالعمل فيه، فأقام فيه البيوت الخاصة للدواجن، والأوز وغيرها، وأمر بإحضار ألفي رأس من الضأن من الصعيد، ومثلها من الوجه البحري؛ وذلك لتتمة أربعة آلاف رأس[٣٥]. وكان السلطان الناصر يعشق الصيد، وكان شديد الاهتمام بالجوارح فجعل لهم البازدارية[٣٦]، والخواندارية[٣٧]، وحراس الطير[٣٨]، وأقطعهم الإقطاعات الهائلة، وأجرى لهم الرواتب للاعتناء بها[٣٩]. وفي سنة (٧٤٨هـ/١٣٤٧م) قام السلطان المظفر حاجي (٧٤٧-٧٤٨هـ/ ١٣٤٦ -١٣٤٧م) بإصدار أوامره لإنشاء حظيرة في الدهيشة، وملأها بمختلف أنواع الحمام، وبلغت النفقة عليها سبعة آلاف درهم[٤٠]. وبحكم وقوع مصر على البحر المتوسط والبحر الأحمر فقد شاعت لدى أهالي مصر مهنة صيد الأسماك بمختلف أنواعها[٤١].

وكانت الثروة الحيوانية شأنها شأن بقية الجوانب الأخرى تأثرت تأثراً سلبياً ببعض العوامل، ومنها انتشار الأوبئة ففي سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) وتعطل الصيد ببحيرة البرلس؛ وذلك بسبب الوباء فمات عدد كبير من الصيادين، وشمل الوباء حيتان البطارخ[٤٢]، وفي سنة (٧٦٤هـ/١٣٦٢م) وقع الفناء في البقر فهلك عدد كبير منها مما أدى إلى الإضرار بالزراعة، وكان لحالات الغلاء تأثير سيء في الثروة الحيوانية فقد أدى غلاء العليق الخاص بالحيوانات إلى هلاك عدد كبير منها جوعاً، كما حدث سنة (٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م) زيادة في أسعار الحيوانات[٤٣]. وكذلك تعرضت الماشية لحوادث نهب، كما حصل عندما قام ابن لاون بالإغارة على الجشار[٤٤] في حارم[٤٥]، وذلك سنة (٦٠٢هـ/١٢٠٥م) [٤٦]. ويعتقد أن تجارة الماشية كانت رائجة بمصر ولكن ليس لدينا معلومات عنها كافية إلا ما جاء في ذكره بصورة سريعة في النصوص التاريخية؛ حيث أن ابن تغري بردي لم يذكر حول هذا الأمر شيئاً سوى ما ذكره ضمن حوادث سنة (٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م) بوصول أعداد كبيرة من الأغنام، والأبقار إلى مصر؛ مما[٤٧] أدى إلى انخفاض أسعارها. ونجد إهتمام بعض أولي الأمر بالثروة الحيوانية؛ لما لها من أهمية من الناحية الاقتصادية مع فوائدها الأخرى.

المبحث الثاني:النشاط الصناعي

الصناعة:

كان لتقدم المجتمع العربي الإسلامي أثر في ازدهار الصناعة، وتعدد أنواعها، وإتقان جودتها، واعتماد التخصص فيها. أما أهم الصناعات والحرَف التي ورد ذكرها عند ابن تغري بردي في محاولة منه لتصنيفها، وتبيان أنواعها هي: صناعة المنسوجات، فقد قامت في مصر عدد من دُوْر الطراز[٤٨] في الإسكندرية[٤٩]، ودمياط[٥٠]، وكانت تصنع فيها الخُلع التي يخلعها السلاطين على أمرائهم، وكبار رجال الدولة[٥١]. كما كانت كسوة الكعبة تصنع في هذه الدور، وترسل إلى مكة[٥٢]، فضلاً عن ذلك فقد اشتهرت مصر بصناعة الثياب الدبيقية[٥٣]. ومن الصناعات الأخرى التي عرفت في ذلك الفترة، الصناعات الجلدية، فقد أنشئت في مصر العديد من المدابغ في منطقة الحسينية[٥٤]، وكان يصنع فيها الأديم[٥٥].

وكذلك نشطت صناعة السكر، وكانت مراكز صناعته تعرف بالمعاصر، والمطابخ، والمسابك، التي كانت منتشرة في كافة أرجاء مصر. كما نشطت كذلك صناعة الورق، ويدل على ذلك كثرة من عمل بالوراقة[٥٦].

كما امتازت أرض الوجه البحري والقبلي في مصر بكثرة معدن النطرون الذي كان يستخرج من الطرانة الواقعة غرب النيل، وقد قام أولو الأمر بفرض الضرائب الثقيلة على من يستخرجه[٥٧]، واحتكر سلاطين مصر استخراج المعادن، وتصديرها إلى الأوربيين الذين كانوا شديدي الطلب عليه حتى أنهم أخذوه بضِعف ثمنه.

ونظراً لوجود المعادن، والأحجار الثمينة في أنحاء مختلفة من مصر ظهرت صناعة الحُلي، فضلاً عن استخدام هذه المعادن كالذهب، والفضة في سك العملة، وكذلك وجدت أحجار الزمرد التي كان لها ضامن يتولى عملية استخراجها[٥٨]. كانت هنالك الصناعات الحربية الثقيلة والتي تأتي في مقدمتها صناعة السفن، حيث كان لإحاطة الدولة الإسلامية بالبحار أثر في تطور الملاحة البحرية، ولهذا ظهرت فيها العديد من دُوْر صناعة السفن، ومن أبرزها دار صناعة السفن في الاسكندرية[٥٩]التي أكد ابن تغري بردي تعرضها لغزوات الفرنج بشكل مستمر، كما كانت هنالك دار لصناعة السفن في جزيرة الروضة، ودار ثالثة في ساحل بولاق كان يصنع بها مراكب الغزاة الذاهبين للجهاد إلى قبرص وغيرها[٦٠]. وفي النيل كانت تبحر عدة أنواع من السفن التي عرفت باسم المراكب النيلية نذكر منها على سبيل المثال الحراريق[٦١] التي اتخذها الملوك والأمراء للتنزه بها في النيل، أو لقضاء أشغالهم، وكان سلاطين مصر يستخدمونها عند خروجهم إلى تخليق المقياس، وكسر الخليج، وكانت هذه المراكب تزيَّن، وتُطلى بألوانٍ معينةٍ؛ لتميز الحراقة التي يصعد فيها السلطان عن حراقة غيره من الأمراء[٦٢]، وكذلك هنالك العشاري[٦٣]واستخدمت هذه أيام الخلفاء الفاطميين عند خروجهم إلى الاحتفال بكسر الخليج، وتخليق المقياس[٦٤]. كما وُجدت في مصر السفن الخاصة بالبحار، وهي أنواع عدة منها الشواني[٦٥]، وكانت تجهز بمختلف آلات الحرب. ويذكر مؤرخنا أن عدداً كبيراً منها قد دُمِّر في الحملة التي قام بها الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٥٩-١٢٧٧م) على قبرص. وليس أدل على اهتمام مصر بأمر الأساطيل من اشتراك الأهالي مع الحكومة عند عرض الجيوش والأساطيل، أو عند توديعها للغزو[٦٦].

ثم نجد أن صناعة السفن بمصر طالها الإهمال بعد وفاة السلطان الناصر صلاح الدين[٦٧] (٥٦٤-٥٨٩هـ/١١٦٨-١١٩٣م)، ولم تتم العناية بها إلا في أيام دولة المماليك البحرية لاسيما أيام السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٥٩-١٢٧٧م) الذي أولى دار صناعة السفن عناية كبيرة، وأصدر أوامره إلى عمال الدور بصناعة أعداد كبيرة من الشواني؛ وذلك لتعويض النقص الذي حصل في أعدادها بعد أن دُمِّر عدد كبير منها في حملة قبرص سنة (٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م)[٦٨]. أما بعد عصر المماليك البحرية فليست لدينا معلومات عن مدى اهتمام المماليك بهذا الجانب، ولكن مؤرخنا يُفصح عن استمرار صناعة السفن في فترات زمنية متأخرة ترجع إلى سنتي (٨٦٤هـ/ ٤٥٩م) و(٨٦٨هـ/١٤٦٣م)[٦٩]. أما قبل ذلك فلا يذكر لنا شيئاً عنها. كما ازدهرت في أيام الدولة الفاطمية (٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٨-١١٧١م) صناعة السيوف، والرماح، والأقواس وغيرها[٧٠].

بالإضافة إلى هذه الصناعات فقد ظهرت العديد من الحِرَف، وهي عبارة عن مهن كان العمل اليدوي أساساً لها. وقد نبعت هذه الحرف من حاجة المجتمع العربي، فكان بعضها يمثل حاجات أساسية، والبعض الآخر كان كمالياً يعبر عن حالة الترف في ذلك المجتمع. ونتيجة لوجود المعادن الثمينة فقد ظهرت حرفة الصياغة، وبرع في هذه المهنة العديد من الأشخاص، وكانوا يتفننون في صياغة الحُلي، وزخرفتها، وتطعيمها بالأحجار

الكريمة والمينا وغير ذلك. كما كانت هنالك حرفة الوراقة، ونسخ الكتب التي امتهنها عدد من الناس، واعتمدوها في معيشتهم، وممن عمل في نسخ الكتب ابن عرب أحمد بن إبراهيم بن محمد اليمني الأصل. بالإضافة إلى حرفة صنع الأقفال، وكانت هذه الحرفة تتطلب المهارة والحذق، وممن امتهنها شيخ الشافعية بخراسان[٧١] أبو بكر عبد الله بن أحمد المروزي [٧٢]. ومن الحرف التي شاعت بين الناس مهنة السقا، وقد كثر امتهان الناس لها؛ لحاجتهم إلى الماء[٧٣]. كما في مصر عدد من الـحِرَف التي زاولها الناس مثل النجارة، والسباكة.

الرقابة على الصناعات :

كانت الصناعة شأنها شأن باقي مرافق الحياة الأخرى تخضع للإشراف من قبل الدولة؛ مما يدل على اهتمام أولي الأمر بأحوال رعيتهم، ومحاولتهم تلافي الغش والتدليس[٧٤] الذي قد يحصل في الصناعات المختلفة. وقد أوكلت هذه المهمة إلى المحتسب، الذي كان من ضمن مهامه مراقبة الصنّاع، والحرفيين، والحيلولة دون غش الناس[٧٥]، ولمنصب الحسبة أهمية كبيرة في مصر لدرجة أن أولي الأمر كانوا يعينون محتسباً لمصر، وآخر للقاهرة[٧٦]، فيورد مؤرخنا (ابن تغري بردي) ما نصه أن "القاضي علاء الدين أحمد بن عبد الوهاب المعروف بابن بنت الأعز[٧٧] تولى حسبة القاهرة، في حين أن القاضي نجم الدين أحمد بن محمد بن مرتفع[٧٨] كان يلي حسبة مصر[٧٩]. وهنالك قصور واضح لدى مؤرخنا بشأن إجراءات المحتسب مع أهل الأسواق، والصناعات، ولكنه يذكر وبشكل متواصل من يلي هذا المنصب على مر العهود التاريخية في مصر، ودمشق، وذكر أن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله كان يتولى بنفسه الحسبة في الأسواق[٨٠]، وكانت من واجبات المحتسب المراقبة والإشراف على المعاصر الخاصة بصناعة السكر[٨١]. أما بعد ذلك فلا يذكر لنا مؤرخنا شيئاً عن مهام المحتسب، وكيفية مراقبته لأهل الصناعات، إلا أنه من المؤكد استمراره بممارسة مهامه المتمثلة بمراقبة الأسواق، وأهل الصناعات فضلاً عن مهامه الأخرى.

المبحث الثالث
النشاط التجاري

- **التجارة.**
- **أهم المراكز التجارية.**
- **التجارة الداخلية والخارجية.**

التجارة :

ساعدت مجموعة من العوامل على ازدهار التجارة، وفي مقدمتها طرق الحج، خاصة أن الحكام كانوا يهتمون بهذه الطرق، من حيث توفير سبل الراحة فيها، فكان خليج أمير المؤمنين[٨٢] مستعملاً لملاحة السفن، وقد استخدمه الحُجاج أيضاً عند ذهابهم وإيابهم من الحج، وكانت أيلة[٨٣] مع بلاد الحجاز ملتقى الناس والتجار على السواء، وكانت البضائع الشرقية تباع إلى الحجاج، ثم تصل إلى أسواق الغرب بواسطة التجار المصريين الذين يرافقون الحجاج في عودتهم إلى مصر، أو بفضل التجار السوريين عند عودتهم إلى دمشق. واتبع سلاطين مصر مختلف الوسائل لإنعاش موسم الحج، ومنها الإجراءات التي اتخذها السلطان صلاح الدين (٥٦٧-٥٨٩هـ/١١٧١-١١٩٣م) بإسقاطه المكوس التي كانت تفرض على الحجاج القادمين من البحر الأحمر، وعوّض صاحبي مكة والمدينة عن ذلك بثمانية آلاف أردب من القمح تحمل إليهم في كل سنة، وتفرّق على أهل الحرمين[٨٤]. وكان لهذه

الإجراءات من قبل السلاطين المماليك أثر في دعم النشاط التجاري ومنها إلغاء الضرائب، والمكوس المفروضة على السلع كما فعل السلطان الظاهر بيبرس[٨٥] (٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٥٩-١٢٧٧م)، وكذلك قام السلطان الناصر فرج بن برقوق (٨٠١-٨١٥هـ/١٣٩٨-١٤١٤م) بتخفيض الضريبة المفروضة على التجار المغاربة من الثلث إلى العُشر مما أدى إلى انتعاش التجارة ما بين البلدين. وفرض سلاطين مصر على البضائع الداخلة من قبل التجار المسلمين العشر[٨٦]، في حين فرضوا الخُمس على ما يحمل من بضائع إلى مصر من قبل التجار الفرنج[٨٧].

كان قيام دولة المماليك في مصر والشام في منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، مصحوباً بازدهار طريق البحر الأحمر وموانئه. كما كان لجهود المماليك في توفير الأمن في الطرق الواقعة تحت سيطرتهم الأثر الإيجابي في انتعاش وازدهار التجارة في أيامهم، حيث كان من عادة حكام مصر إرسال الجيوش في كل سنة لحماية بندر جدة.

وكان التعامل التجاري يتم عن طريق العملة سواء كانت الفضية، أو الذهبية، وحتى النحاسية. كما استخدم التجار في معاملاتهم التجارية السفاتج[٨٨] وذلك عندما يأخذ أحد التجار المال من تاجر آخر على سبيل القرض، وذلك بورقة إثبات ما عند الآخر من حقوق واجبة الدفع، وعندما وقع الملك المجاهد[٨٩] صاحب اليمن في أسر السلطان الناصر حسن (٧٤٨-٧٥٢هـ/ ١٣٤٧-١٣٥١م) سنة (٧٥٢هـ/١٣٥١م) قامت والدته بالاقتراض من تجار الكارم، وأعطتهم مقابل ذلك سفاتج، وطلبت منهم دفعها لسلطان مصر لإطلاق سراح ابنها[٩٠].

وتعتبر الاسكندرية أهم المراكز التجارية في مصر غير أن ابن تغري بردي لم يذكر لنا النشاط التجاري الذي كان فيها، ولا طبيعة السلع التي كانت رائجة في ذلك المنفذ البحري، ولكنه اكتفى بالقول إن هذا الثغر كانت توجد فيه مراكب التجار، وأنه كان عرضة للهجمات المستمرة من قبل الفرنج[٩١]، في حين ورد عند المقريزي[٩٢] أنه "كانت تتدفق إليه سلع الشرق من طيب، ويواقيت، وعطور، وتوابل وغير ذلك"، أما المركز الآخر فهو ثغر دمياط، وكذلك ثغر رشيد الذي كانت تصل البضائع إليه من بلاد الترك التي تشمل الدقيق والغلال[٩٣].

العلاقات التجارية:

ازدهرت التجارة بمصر بشكل خاص إبان العصر الفاطمي، وكان من الطبيعي أن تكون لها العديد من العلاقات التجارية مع دول العالم المختلفة، وقد ساعدت شبكة الطرق البرية والبحرية في توطيد هذه العلاقات، وقيام التبادل التجاري بينها وبين دول العالم، وتشهد المعاهدات التجارية التي كانت تبرم بين مصر وغيرها من الدول على وجود هذه العلاقات، فقد كان لمصر علاقات تجارية مع بغداد والبصرة، فكانوا يذهبون عن طريق البصرة إلى الصين، وبلاد الهند وغيرها من البلاد[٩٤] حتى أن الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله (٤٩٥-٥٢٤هـ /١١٠١-١١٢٩م) أمر وزيره بإنشاء دار الوكالة في مدينة القاهرة التي قام بتخصيصها للتجار القادمين من العراق[٩٥].

وكذلك كان لمصر علاقات تجارية عريقة مع المغرب، وكان التجار المغاربة يأتون إلى مصر حاملين معهم كافة أنواع المتجر كالرقيق، والخيول، والأقمشة وغيرها من البضائع، فضلاً عن العلاقات التجارية القويةالتي كانت تربط مصر مع الشام، كما كانت لها علاقات تجارية مع بعض البلدان الأفريقية، ومنها الحبشة التي كانت تربطهما علاقات قديمة، وكانت التجارة الرائجة بينهما هي تجارة الذهب والحلي، وتجارة الأسلحة[٩٦].

ووصلت علاقات مصر التجارية إلى ممالك الهند، وبلاد سيلان[٩٧]، وكانوا يستوردون منها الياقوت الأحمر الذي كان استخراجه حكراً على سلطان تلك البلاد، كما كان لها علاقات تجارية مع مملكة بنكالا التي هي من ممالك الهند، وكانوا يستوردون منها الشاشات الشمسي، والقماش الأبيض والسكر[٩٨]. وعلاقات مع مملكة كلبرجا التي يذكرها مؤرخنا قائلاً: "تجيء منها السلاسل الخمسيني كاملة، وأنصاف وبيارم"[٩٩]. وامتدت علاقات مصر التجارية إلى بلاد الروم على الرغم من أن هذه العلاقات كانت أشبه بالمد والجزر؛ لكثرة الخلافات السياسية ما بين الدولتين، ولذلك كانت تنقطع العلاقات التجارية كثيراً؛ بسبب تدهور العلاقات السياسية. وقد قام شاور[١٠٠] وزير الخليفة الفاطمي العاضد (٥٥٥-٥٦٧هـ/١١٦٠-١١٧١م) ببناء أسواق خاصة للتجار الفرنج في مدينة القاهرة. وكان للمصريين أيضاً تبادل تجاري مع بلاد سيس، وقد أورد ابن تغري بردي[١٠١] ذلك بقوله: "إن جماعة من التجار خرجوا من بلاد العجم قاصدين مصر، فلما مروا بسيس منعهم صاحبها من العبور، وكتب إلى أبغا[١٠٢] ملك التتار، فأمره أبغا بالحوطة عليهم، وإرسالهم إليه، وبلغ الملك الظاهر بيبرس خبرهم، فكتب إلى نائب حلب أن يكتب إلى نائب سيس إنْ هو تعرض لهم بشيء يساوي درهماً واحداً أخذت عوضه مراراً، فكتب إليه نائب حلب بذلك فأطلقهم".

وكذلك كان لسلاطين مصر علاقات تجارية مع بلاد القبجاق[١٠٣] وبلاد فارس، وكرمان[١٠٤] وغيرها وليس أدل على ذلك من التواقيع التي كان يعطيها السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٥٩-١٢٧٧م) للتجار المصريين الذاهبين إلى تلك الجهات تتضمن إعفاءهم من الصادر والوارد أينما حلوا في تلك الجهات[١٠٥]. وهذا يعني أن هنالك مواثيق تجارية كانت تعقد بين سلطان مصر وحكام تلك الجهات لتسهيل المعاملات التجارية بينهما.

وصفوة القول إن عناية أولي الأمر بالتجارة وحرصهم على تبادلها وتيسير طرقها البرية والبحرية، كانت لها الأثر البعيد في ازدهار التجارة القائمة على أساس تبادل المحاصيل، كما مهدت السبيل أمام الكاشفين والرحالة، فكثرت رحلاتهم، ووصفوا البلاد المختلفة وصفاً دقيقاً مبنياً على المشاهدة.

المعوقات التي اعترضت التجارة:

أ-معوقات التجارة الخارجية:

على الرغم من النشاط التجاري الكبير الذي تمتعت به مصر، إلا أن عراقيل عدة كانت تعترض نمو وانتعاش التجارة الخارجية، ومن أبرز تلك العراقيل، تعرض المراكب التجارية المصرية إلى القرصنة في البحر من قبل مراكب أخرى كما حصل سنة (٨٢٥هـ/ ١٣٢١م) عندما قامت مجموعة من السفن الإفرنجية بنهب مراكب التجار المصريين المحملة ببضائع تقدر قيمتها بمائة ألف دينار. وكان عدم توفر الأمن في بعض الطرق البرية سبباً في تعرض القوافل التجارية إلى عمليات السلب والنهب، وهذا ما حصل سنة (٦٥٠هـ/١٢٥٢م) عندما انعدم الأمن في الطرق التجارية الواقعة في المناطق التي سيطر عليها التتار. وكان لتوتر العلاقات السياسية مع بعض الدول كالفرنج وغيرهم أثر في عرقلة التجارة الخارجية، فقد كان لتهديدات وعبث السفن الفرنجية أثر في قيام السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢١-١٤٣٧م) سنة (٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م) بإصدار أوامره بمصادرة أموال التجار الفرنج الذين ببلاد الشام، وبالاسكندرية، ودمياط. وفي سنة (٨٦٨هـ/١٤٦٣م) أصدر السلطان الظاهر خشقدم (٨٦٥-٨٧٢هـ/١٤٦٠-١٤٦٧م) أمراً بالتضييق على التجار الفرنج وتجار البندقية، رداً على هجوم التجار الفرنج على مراكب المسلمين وأخذهم للبضائع، الأمر الذي دفع صاحب البندقية أن طلب من تجار رودس إرجاع ما أخذوه من

التجار المصريين، وعندما رفضوا قاتلهم وانتصر عليهم.[١٠٦]

كان للطبيعة وتأثيراتها أثر في عرقلة التجارة الخارجية، وتمثلت في حالات غرق المراكب في البحر؛ بسبب العواصف، كما حصل سنة (٨٣٣هـ/١٤٢٩م) عندما غرق في النيل اثنتا عشرة سفينة كانت محملة بالبضائع والغلال. وفي سنة (٨٥٤هـ/١٤٥٠م) غرق مركبان في بحر القلزم[١٠٧] كانا محملين بآلات عمارة الحرم المكي.[١٠٨]

وكان للسياسة التي اتبعها السلاطين المماليك أثر في استياء التجار الشاميين، فقد قام السلاطين بإجبار الناس العائدين من الحج بعدم الرجوع مباشرة إلى بلادهم وإنما عليهم المرور إلى القاهرة لدفع المكس المفروض على بضائعهم، ومن ثم التوجه إلى بلادهم التي كانوا يدفعون فيها مكوساً أخرى، ويذكر ابن تغري بردي أنه هدد من لم يفعل ذلك بقوله: "من اشترى بضاعة وسافر بها إلى غير القاهرة حل دمه وماله للسلطان". مما أدى إلى قيام المفاوضات بين هؤلاء التجار ورجال الدولة، فتم التوصل إلى عقد اتفاق يقضي بأن يدفعوا المكس (ثلاثة دنانير ونصف عن كل حِمْل) في مكة بدلاً من القاهرة، وذلك سنة (٨٣١هـ/١٤٢٧م). وكان في بندر جدة موظف خاص يتولى المكوس التي تؤخذ من التجار الواردين إليها. كان أمراء مكة قد عقدوا مع سلاطين مصر اتفاقاً يقضي بعدم التدخل في شؤون بندر جدة بمقابل أن يأخذ السلطان العشر المأخوذ من التجار[١٠٩].

كما كان لسياسة بعض السلاطين المجحفة أثر في عرقلة التجارة الخارجية، بفرضهم البضائع على التجار، كما فعل السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢١-١٤٣٧م) عندما فرض على التجار شراء ما غنمه من قبرص من أقمشة، وأوانٍ، وأسرى[١١٠]. وكذلك عندما قام السلطان الظاهر خشقدم (٨٦٥-٨٧٢هـ/١٤٦٠-١٤٦٧م) سنة (٨٦٥هـ/١٤٦٠م) برميه البهار على التجار، وما فضل من أموال البهار كان يأخذها هو لعدم وجود الأموال عنده[١١١].

وحرص سلاطين دولة المماليك الأولى على الاحتفاظ بمكانة مصر المرموقة في النشاط التجاري ما بين دول الشرق والغرب، ولكن اختلفت الظروف في عصر دولة المماليك الثانية، فالنظام الإقطاعي الذي اعتمده المماليك، لم يعد يكفي لسد احتياجاتهم المالية، الأمر الذي أدى إلى اتجاه بعض السلاطين المماليك الجراكسة نحو العمل بالتجارة، وقاموا باحتكار بعض المحاصيل والسلع. وقد كانت سياسة الاحتكار سبباً في عرقلة التجارة وتدهورها، وارتفاع أسعار السلع والبضائع. وكان بعض التجار ممن عمل في التجارة الخارجية مع ممالك اليمن والهند وغيرها والذين يعرفون بتجار الكارم[١١٢] قد أثروا ثراءً فاحشاً، ولهذا اتجهت أنظار السلاطين إليهم للحصول على الأموال اللازمة خاصة عند الأزمات، وفرضوا عليهم الضرائب الثقيلة لاسيما في أوقات الحروب، بل إن بعض السلاطين لم يتورع عن نهب تجارة هؤلاء عند الضرورة، أو مصادرة أموالهم في أحيان أخرى، ففي سنة (٧٥٣هـ/١٤٤٩م) أراد السلطان الصالح صالح[١١٣] (٧٥٢-٧٥٥هـ/١٣٥١-١٣٥٤م) تجهيز حملة إلى الشام فشرع بالاقتراض من تجار الكارم؛ لعدم وجود الأموال عنده،

ب- معوقات التجارة الداخلية:

كانت هناك مشكلات تعترض التجارة الداخلية تمثلت بسوء معاملة التجار، والإساءة إليهم بمختلف الطرق، فضلا عن النكبات والخسائر التي كانوا يتعرضون لها لإجبارهم على شراء البضائع من قبل رجال الدولة ومن له سطوة ونفوذ، كما فعل النشو سنة (٧٣٧هـ/١٣٣٦م) عندما قام برمي الخشب على التجار وباعهم إياه بأضعاف ثمنه[١١٤] مع احتكاره بيع الأغنام. وكذلك قيام وزراء السلطان الناصر فرج (٨٠١-٨١٥هـ/ ١٣٩٨-١٤١٢م) سنة (٨١٥هـ/١٤١٢م) ببيع البضائع للتجار بأغلى الأثمان مما أدى إلى ارتفاع

أسعار السلع. وفي سنة (٨٧١هـ/١٤٦٦م) قام آص باي برمي الأطرون على التجار بثمن زائد، فشكاه التجار للسلطان، ولكنه لم يفعل له شيئاً[١١٥]. وهنالك عمليات المضاربة التي أثرت سلباً في التاجر، وأدت إلى ارتفاع الأسعار، فقد قام يشبك[١١٦] الدوادار سنة (٨٧٣هـ/١٤٦٨م) بتسعير القمح وهو أربعمائة درهم للأردب الواحد؛ وذلك مضاربة للتاجر ابن عمر الهواري الذي أرسل كميات من القمح إلى مصر لغلاء أسعاره فيها، فأراد الدوادار بإعلانه هذا إلحاق الضرر بالتاجر وبيع بضاعته بأبخس الأثمان[١١٧]. ولكن الأسعار سرعان ما عادت إلى ما كانت عليه من زيادة.

وكان للأحوال غير المستقرة والاضطرابات الداخلية خاصة في صعيد مصر من ظم العراقيل التي واجهت التجارة الداخلية؛ وذلك لانعدام الأمان في الطرق التجارية، وتعرض القوافل للنهب والسلب من قبل العربان، وفرض الضرائب على التجار لقاء السماح بالمرور كما فعل عربان الوجه القبلي في أسيوط[١١٨]، ومنفلوط[١١٩] بقطع طرق التجارة وفرض الضرائب على التجار[١٢٠]. وكذلك قيام بنوهلبا[١٢١] بالاستيلاء على المراكب المحملة بالغلال والقادمة من بلاد الصعيد، ونهبوا ما فيها، وذلك سنة (٨٧٣هـ/١٤٦٨م)[١٢٢]. مع تعرض التجار إلى مصادرة أموالهم وبضائعهم من قبل الدولة، فقد قام قطلوبغا الفخري[١٢٣] بمصادرة أموال عدد كبير من التجار عند دخوله لدمشق[١٢٤].

وفي سنة (٨٠٣هـ/١٤٠٠م) قام السلطان الناصر فرج بإصدار أوامره بكبس الفنادق في الليل، وأخذ أموال التجار فيها، فمن وجده حاضراً استولى على نصف ما في خزائنه، ومن لم يجده أخذ كل ما في الخزانة؛ وذلك لحاجة السلطان إلى الأموال بتجهيز الجيوش. وقد تعرضت التجارة الداخلية إلى حالات من الكساد انعدمت فيها عمليات البيع والشراء؛ وذلك لأسباب عدة منها انتشار الأوبئة والأمراض خاصة مرض الطاعون، كما حصل سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م) عندما انتشر هذا الوباء بمصر، فأغلقت الأسواق، وانعدمت حركة البيع والشراء فيها[١٢٥].

وكانت إجراءات بعض السلاطين سبباً في حصول الكساد، وانعدام عمليات البيع والشراء، فقد قام الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بمنع النساء من الخروج إلى الأسواق، وكذلك فعل السلطان الأشرف برسباي سنة (٨٤١هـ/ ١٤٣٧م)[١٢٦]. فتعطلت أحوال الناس المعاشية، وتوقفت الحركة في الأسواق.

ونجدأن التجارة تعرضت لجملة من المعوقات الخارجية والداخلية، وقد عرقلت ازدهار هذا الجانب المهم من جوانب النشاط الاقتصادي.

الخـــاتمـــة

من خلال الدراسة للحياة الاقتصادية لمصر في العصر المملوكي على ضوء ما جاء في مؤلفات ابن تغري بردي تبين ما يأتي :

- كان ابن تغري بردي شديد الحرص على سلامة المعلومات التي كان يرويها، وهذا واضح لما من خلال النصوص والمعلومات التاريخية التي دونها في مؤلفاته بحيث قدم لنا معلومات دقيقة وواضحة.
- لم تقتصر كتابات ابن تغري بردي على النواحي السياسية وإنما اتخذ منهج مغاير لمشايخه وأساتذته، فكان يكتب في جميع المجالات السياسية والحضارية والعمرانية، بحيث مكَّن القارئ والباحث من الإلمام بكافة الجوانب لدراسة مصر في تلك الحقبة.
- أظهرت الدراسة اهتمام ابن تغري بردي بالجوانب الاقتصادية اهتماماً بالغاً انعكس ذلك في كتبه بصورة واضحة، وكانت معلوماته دقيقة من الناحية الاقتصادية.
- أفصحت هذه الدراسة عن جوانب اقتصادية مهمة في تاريخ دولة المماليك في مصر، فذكر لنا ابن تغري بردي وبدقة ما يتعلق بالنشاط الزراعي، والري، وأنواع المحاصيل الزراعية، والثروة الحيوانية كما تناول النشاط الصناعي، والرقابة على الصناعات. وتناول النشاط التجاري، والتجارة الخارجية، والتجارة الداخلية، والأسواق والرقابة عليها.
- أظهرت الدراسة من خلال رصد ابن تغري بردي للحياة الزراعية أنه لما كانت الزراعة الحرفة الرئيسة التي امتهنها عدد كبير من الناس؛ فقد اهتم بها السلاطين باعتبار أن الخراج المستحصل من الأراضي الزراعية يمثل المورد الرئيس لميزانية الدولة، إلا أن هذا الجانب لم يخل من العقبات الكثيرة التي واجهته والمتمثلة بقلة مياه الري التي يعود السبب فيها لعوامل تتعلق بقلة الأمطار، أو إهمال بعض السلاطين مشاريع الري مما انعكس سلباً على الواقع الزراعي، والعاملين فيه.
- أكدت الدراسة بالنسبة للمجال الصناعي على تناول ابن تغري بردي العديد من الصناعات، بل وُجد فيها أسواق اختصت بحرفة، أو صناعة معينة كسوق الخراطين، والصاغة، والوراقين وغيرها، مما يشير إلى التنوع في الصناعات، لاسيما الصناعات الحربية، وبناء السفن.
- بيّنت الدراسة أن ابن تغري بردي أعطى عناية كبيرة للجوانب التجارية في كُتُبه، كما أوضح حرص سلاطين دولة المماليك الأولى على تسهيل المعاملات التجارية، وتأمين طرقها البرية، والبحرية؛ مما جعل مصر تحتفظ بمكانتها، وتأثيرها في النشاط التجاري.
- كما تناول ابن تغري بردي – وبدقة - التجارة الخارجية، والتجارة الداخلية، وأظهر معوقاتهما، كما تناول أهم الموانئ والمراكز التجارية في تلك الفترة.

ولقد أوصت الدراسة بعدة توصيات من أهمها:

١. إجراء دراسات وأبحاث تفصيلية عن الجوانب الاجتماعية، والفكرية، والثقافية في كتاب النجوم الزاهرة.
٢. تعرض ابن تغري بردي لموضوعات تستحق المزيد من الدراسات، ومن أهمها العملات المستخدمة سواء الذهبية، أو الفضية، أو النحاسية من خلال أعماله.
٣. موضوع آخر يستحق البحث في كتاب النجوم الزاهرة، وهو الإيرادات المالية مثل الضرائب الشرعية، أو المال الخراجي، والمكوس، والمصادرات، والغرامات، والرسوم.
٤. أرى ضرورة تطبيق بحث الحياة الاقتصادية على كتب وموسوعات تاريخية أخرى، وهي من الكثرة بحيث يصعب حصرها؛ فأوصي بأن ينال الجانب الاقتصادي حقه من الدراسات التاريخية.
٥. تنظيم ندوات ومؤتمرات لإلقاء الضوء على هذا الكتاب الموسوعي؛ لأنه يحتاج جهود العديد من الباحثين؛ لما يحتويه من كنوز معرفية، وتاريخية.

Abstract

Economic life in Egypt during the eighth Hijri centuryA)study of Ibn Alnojom Alzahira Altaghri Bardi's

(813-874 AH/ 1410- 1470 DH)

By Monira Bnt Madath

This research attempts to uncover the self_semiotic in Mohamed Abdel Halim's Novel Sunset. It highlights the main features of self_semiotic in the novel. This research starts with a theoretical framework in which the term semiotics and its different subdivisions are clarified. The term self_semiotic is derived from semiotics.

The practical part of the research tackles many subtitles as follows:

_ Titling as asign of Ego.

_The body' gourney_desire_detachment.

_ Measurements of immanence: subjects of the inner self.

_ The self_identity unites work and love.

_Measure of pride: subjects of the outer self.

_ self_space and indicative aids:

1.Subgective aids.

11.Spatial and temporal aids.

In the conclusion the research highlights the main results he has reached followed by a bibliography.

الهوامش

(١) تغري بردي: وهي كلمة تركية تعني عطاء الله،(المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تصحيح: محمد زيادة، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٢م،جـ١، ص ٣٤)

(٢) الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، لبنان- بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م،جـ٨، ص ٢٢٢،

(٣) دراج،احمد، نشأة أبو المحاسن وأثرها في كتابته للتاريخ، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، القاهرة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م ،ص ٦٦.

(٤) وهم: الناصر فرج بن برقوق، الخليفة المستعين، المؤيد شيخ، المظفر أحمد، الظاهر ططر، الصالح محمد، الأشرف برسباي، العزيز يوسف، الظاهر جقمق، المنصور عثمان، الأشرف أينال، المؤيد أحمد، الظاهر خشقدم، الظاهر يلباي، الظاهر تمربغا، والأشرف قايتباي،(دراج، احمد،ص ٦٦)

(٥) المماليك الجراكسة(ترجع أصولهم إلى الشعب الجركسي في نواحي بحيرة بيكال في سيبيريا ، رزق الله صدقي، تاريخ دول الإسلام، مطبعة الفجالة، مصر- القاهرة، ط١، ١٣٢٦هـ- ١٩٠٨م،جـ٣، ص ٦٧)

(٦) Wiet. G. LhistorianAbulMahasin,VolXII. (Bulleetinede1InstitutedEgypt)PP89-105,1929-1930.

(٧) السخاوي ،شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ،الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٥هـ ، ١٩٣٦م.جـ١٠، ص٣٠٥ .

الحنبلي :أبو الفلاح عبد الحي بن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب،، مكتبة المقدسي، القاهرة، ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م،جـ٧، ص ٣١٧.

(٨) طرخان ،إبراهيم علي، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، لجنة التأليف والترجمة، مصر، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م،ص٢.

(٩) تيمورلنك: ويعرف باسم تمرلنك ابن ايتمش قنلغ بن زنكي، ومعنى تيمور أي الأعرج بالأعجمية، ولد سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)، استطاع أن يسيطر على سمرقند، وخراسان، والعراق، والشام، توفي أثناء مسيره للصين، ونقله حفيده إلى سمرقند ودفنه فيها سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م .(الحنبلي، شذرات، ج٧، ص ٦٢)

(١٠) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، (ص ١٧٥ وما بعدها).

(١١) حسن ،علي إبراهيم، تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م،ط٢، ص٢٧.

Dopp, (P.H), Le caire vu par Les Voyageurs Oecidentaux du Moyen age، (Bulletine de La S.R.de Geographie d Egypte)، (١٩٥٠)، p. ١٣٥.

(١٢) بوزورث، شاخت، تراث الإسلام، ترجمة محمد زهير السمهوري، ط٢، الكويت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، جـ١، ص٢٧٨

حسن،علي، تاريخ المماليك البحرية، ص ٢٧.

(١٣) العشور: وهي الضريبة المفروضة على أموال التجار الصادرة من البلاد الإسلامية والواردة إليها . (عبد الجبار الأعظمي، دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الإسلامي، العراق، بغداد، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ،ص ٤٦.)

(١٤) ابن تغري بردي، النجوم، ج٩، ص١٩١.

(١٥) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص ٢٨٥.

(١٦) ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص ١٣، ص٢٠، ج ١٣، ص ١٠٨.

(١٧) فقد قلت الأمطار في غزة مما أدى إلى ارتفاع الأسعار، وقلة الإنتاج الزراعي، وكذلك سنة (٨٦٩هـ/١٤٦٤م) وانعدمت الأمطار بمصر مما أدى إلى قلة الإنتاج الزراعي وحدوث الغلاء . ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٣، ص ٤٩٩.

(١٨) حلوان: وهي مدينة عظيمة أهلها أخلاط من العرب، والعجم والفرس، والأكراد افتتحت أيام عمر بن الخطاب (اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح: البلدان، ص٢٧٠، مطابع بريل، هولندا، ليدن،١٣٠٩هـ /١٨٩١م)

(١٩) حوادث الدهور، ج١، ص ١١٧.

(٢٠) القرط الأخضر: هو نبات البرسيم وهو العشب الأخضر الذي ترعاه الماشية . (محمد، محمد كمال: أسماء ومسميات من تاريخ مصر- القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص٧٨)

(٢١) البهنسا: من أعمال الفيوم فيها طراز الستور الذي كان يحمل منها إلى الآفاق من بلدان الإسلام والكفر، ولا يخلو مجلس ملك منه في أقاصي البلاد براً وبحراً .)ابن زولاق، الحسن بن إبراهيم، (ت ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) أخبار مصر وفضائلها، مخطوط برقم ت/ ٧٨١، ورقة ١٩٩، مكتبة المجمع العلمي العراقي(

(٢٢) ابن تغري بردي،حوادث الدهور، ج٣، ص ٥١١.

(٢٣) الريح المريسية: هي الريح الجنوبية . (الثعالبي ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوبمطبعة الظاهر، القاهرة، ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، ص ٥٢٧)

(٢٤) ابن تغري بردي، حوادث، ج٢، ص ٢٤٣.

(٢٥) تكرر الحال كذلك سنة (٨٦٨هـ وسنة ٨٧٢هـ، وسنة ٨٧٣هـ) . ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٣، ص ٤٥٨، ص ٦٥٤، ص٧١٥.

(٢٦) التقاوي: وهي ما يعزل من الحبوب لأجل البذر، وهنالك ما يعرف بالتقاوي السلطانية وهي التي ختم عليها بخاتم التخليد السلطاني لحفظها للزرع.(المقبل. رضا: معجم متن اللغة، مكتبة دار الحياة، لبنان، بيروت،١٣٧٧هـ/١٩٥٨م. جـ١، ص ٤٠١)

(٢٧) ابن تغري بردي، النجوم، ج ٩، ص١٠٠، حاشية (٢٤). ج١٥، ص ١٧٩، السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، التبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ،ص ٣٥٢.

(٢٨) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، كاشف، سيدة إسماعيل: مصر في عصر الولاة، ص٧٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ٥٧، ص ٩٩.

(٢٩)ابن تغري بردي: النجوم، ج٤، ص ١٧٦؛ ابن قاضي شهبه، بدر الدين، (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، الكواكب الدرية في السيرة النورية، ص ٢٠٨، تحقيق محمود أبو زيد، ط١، دار الكتاب الجديد، لبنان، بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١مص ٥٧، ص ٩٩ .

(٣٠) ابن تغري بردي ،النجوم، ج٤، ص ١٧٦؛ ابن إياس، بدائع، ج٢، ص ١٩٩؛ ج٢ ص ٣٢٩.

(٣١)ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص ٣٠١.

(٣٢) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص ٤٧، ص ٥٢.

(٣٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج٤، ص ٢٥٢.

(٣٤) المصدر السابق، ج٤، ص ٢٥٢.

(٣٥) ابن تغري بردي، النجوم، ج٩، ص ٩٤. المقريزي، السلوك، ج٢، ق ٢، ص ٤٣٣ .،مبارك، علي: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر-القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة،(د. ط١)، مصر، القاهرة، ١٣٠٦هـ/١٨٨٦م.جـ١، ص ٣٤.

(٣٦) البازدارية: هو الذي يحمل الجوارح والطيور المعدة للصيد على يده . (عاشور، العصر المماليكي، ص ٣٩٥)

(٣٧) الخواندارية: الذي يتصدى لخدمة طيور الصيد ويحملها إلى موضع تعليم الجوارح . (ابن تغري بردي، النجوم، حاشية (١٢)ج٩، ص ١٣١)

(٣٨) حارس الطيور: هو المتحدث عن حراسة الطيور من الكراكي التي سوف يصيدها السلطان في الأماكن التي تنزل بها الطيور من المزارع وغيرها . (القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٢٢)

(٣٩) لذلك قام الفونس الرابع بإهدائه مجموعة من الطيور الجارحة؛ لكسب وده، ابن تغري بردي: النجوم، ج٩، ص ١٣٨؛ . الحجي، العلاقات بين سلطنة المماليك، ص ٢٢٩.

(٤٠) أنفق على إنشاء الحظيرة مبلغ سبعين ألف درهم . المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٣٢٦.
ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص ١٥٦.

(٤١) منع الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله صيد السمك . ابن تغري بردي، النجوم،ج٤،ص١٧٦.

(٤٢) وهو نوع من السمك في بحيرة البرلس، والبطرخ هو بيض السمك . (ابن تغري بردي: النجوم، حاشية (٢).ج10،160.)

(٤٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج١١، ص ٢٦.

(٤٤) ابن لاون ،اسم أطلقه العرب على صاحب بلاد الأرمن. والجشار هي الماشية . (ابن تغري بردي: النجوم، حاشية (١).ج٦، ص١٦٨)

(٤٥) حارم: وهي حظيرة ماشية موجودة قبل فتح العرب لمصر، محاطة بحصن لحماية المواشي . (ابن شداد: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ج١، ص ٥٥)

(٤٦) ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص ١٨٩؛ ابن واصل ،مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، نشر جمال الدين الشيال، مطبعة جامعة فؤاد الأول، مصر، القاهرة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م.جـ٣، ص ١٧٠.

(٤٧) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص ١٥٣.

(٤٨) وهي عبارة عن مصانع تصنع فيها الملابس الرسمية للدولة. ابن خلدون، المقدمة، ص٢٦٦، ص٢٦٧.

(٤٩) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص ١٩٩، النويري، محمد بن قاسم (ت ٧٧٥هـ/١٣٧٢م): الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام، ج٢، ص١٥، تحقيق داتيين كرمب، وعزيز سوريال عطية، مطابع دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الدكن، الهند، (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).

(٥٠) ابن تغري بردي، النجوم، ج ٩، ص ١٩.

(٥١) المقريزي، المواعظ، ج٢، ص٢٢٧.

(٥٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج ٩، ص ٤٩؛ إبراهيم ،حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٥٨٣.

(٥٣) وهي نوع من الأقمشة الحريرية المزركشة التي كانت تصنع بدبيق، وهي بلدة مصرية تقع على بحيرة المنزلة(ابن تغري بردي، النجوم، ج٤، ص ٨٥، حاشية (٦١).

(٥٤) جاء الأشراف الحسينيون إلى مصر أيام السلطان الأيوبي الكامل محمد بن العادل، وسكنوا في القاهرة، وقاموا بإنشاء عدد من المدابغ فيها . ابن تغري بردي، النجوم، ج٤،ص٤٨.

(٥٥) الأديم: هو الجلد، أو أحمره، أو مدبوغه (الفيروز ابادي: القاموس، ص١٠٧٤)

(٥٦) ابن تغري بردي، النجوم، ج٤، ص ٢٣٢. إبراهيم، حسن ،تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٥٩٠.
(٥٧) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٦، ص ٤٦. المقريزي، المواعظ، ج١، ص ١٠٩.
(٥٨) وُجِدَ الذهب بمصر في وادي العلاقي، ابن تغري بردي ،النجوم، ج٨، ص ٢١٥، سيدة كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص ٢٩٤؛ كذلك يوجد في مدينة قوص . جمال سرور، دولة الظاهر بيبرس، ص ١٤٧.
(٥٩) هي الدار التي أسسها عبد الله بن سعد بن أبي سرح أمير مصر أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه. سالم، عبدالعزيز، تاريخ الاسكندرية وحضارتها،مصر،القاهرة،١٣٨١هـ/١٩٦١م،ط١،ص١٥٥.

(٦٠) ابن تغري بردي، حوادث، ج ٣، ص ٤٥٠. جمال سرور،دولة الظاهر بيبرس، ص ١٤٣.
(٦١) الحراقة: أو الحراريق وهي سفن حربية، أصغر من الشواني تستعمل في عمل الأسلحة النارية، وتوجد بها مواضع خاصة ترمى منها النيران .(حسن ابراهيم : المماليك البحرية، ص ٢٨٢)
(٦٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٣، ص ٢٣٤؛ حوادث، ج٣، ص ٥٠٢.
(٦٣) العشاري: وهي نوع من المراكب التي تسير في النيل، وتجر بعشرين مجذافاً، وهي نوعان منها العشاريات اللطاف، ومنها الكبار للخليفة يستخدمها عند نزهته في النيل . (ابن تغري بردي، النجوم، ج٤، ص ١٠٤، حاشية رقم (٢).
(٦٤) ابن تغري بردي، النجوم ، ج٤، ص ١٠٤.
(٦٥) الشواني، جمع شيني وهي المراكب الحربية الضخمة المزودة بالأبراج والقلاع والصهاريج الخاصة بالماء، وبه مائة وأربعون مجذافاً.(سعيد عاشور، دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص ١٩٤)
(٦٦) ابن تغري بردي، النجوم، ج٧، ص ١٥٥؛ ج٨، ص ١٥٤.
(٦٧) اهتم صلاح الدين بالأسطول، وجعل له ديواناً خاصاً أطلق عليه اسم ديوان الأسطول، وعين أخوه العادل رئيساً لهذا الديوان.
المقريزي، المواعظ، ج١، ص ١٩٥.
(٦٨) ابن تغري بردي،النجوم، ج٧، ص ٢٣٤؛ حوادث، ج٣، ص ٥٠٢ ؛ ج١، ص ١١١.
(٦٩) ابن تغري بردي، حوادث،ج٢، ص٣٤٢ ؛ ج٣، ٤٥٥.
(٧٠) ابن تغري بردي، النجوم، ج٤، ص ٨٤.
(٧١) خراسان: هي بلاد المشرق وتشمل الأراضي الواقعة جنوب نهر جيحون.
(الاصطخري: المسالك والممالك، تحقيق محمد شفيق غربال ، ص١٤٥، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م)
(٧٢) ابن تغري بردي،النجوم، ج٤، ص ٢٦٥.
(٧٣)المصدر السابق، ج١٠، ص ٢١٠.
(٧٤) الطوسي، نظام الملك حسين: سياسة نامة أو سير الملوك، ص ٨٠، تحقيق :يوسف حسين بكار، ط٢، قطر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
(٧٥) ابن الإخوة، محمد بن محمد بن أحمد، (ت٧٢٩هـ/١٣٢٨م): معالم القربة في أحكام الحسبة، ص ٤١٥، صححه، روبن ليوي، مطبعة دار الفنون، المملكة المتحدة، كيمبرج، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.
(٧٦) زيود،محمد، نظام الحسبة في الإسلام، مجلة دراسات تاريخية،، العدد ٢٩، السنة ٩، سوريا، دمشق، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.ص١٤٩.
(٧٧) علاء الدين أحمد بن عبد الوهاب بن خلف: ابن بدر العلامي المعروف بابن بنت الأعز، كان لطيف العبارة جميل الصورة، ولي الحسبة والأحباس، ومات سنة (٦٩٩هـ/١٢٩٩م). (ابن تغري بردي: النجوم، ج٨، ص ١٥١)
(٧٨) نجم الدين أحمد بن محمد بن علي بن مرتفع الشافعي المصري، كان فقيهاً، شرح عدة كتب في الفقه توفي سنة (٧١٠هـ/ ١٣١٠م)
المقريزي: المواعظ، ج١، ص٦٢٣.
(٧٩) ابن تغري بردي، النجوم، ج٩، ص ٢١٣.
(٨٠) المصدر السابق ، ج٤، ص ١٨٤.
(٨١) ابن تغري بردي، حوادث، ج١، ص ١١.

(٨٢) خليج أمير المؤمنين: هو قناة مائية تصل بين النيل وبحر القلزم، جدد حفرها عمرو بن العاص سنة (٢٣هـ/٦٤٣م)، ودفنت أيام أبي جعفر المنصور، وأعاد الحاكم الفاطمي حفرها، ولكن لم تبقاءطويلاً، فأهملت فغطتهاالرمال.)عطية الله: القاموس الجغرافي، ج٢، ص278)

(٨٣) أيلة: مدينة على ساحل البحر الأحمر، وأهلها أخلاط من الناس(اليعقوبي، البلدان، ص ٣٤٠)

(٨٤) ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص ٧٨. البرق الشامي، تحقيق فالح حسين، ط١، الأردن، عمان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.ج٣، ص ١٠٥

(٨٥) قام بإعفاء التجار الذاهبين إلى بلاد فارس من الصادر والوارد أينما حلوا في هذه البلاد ،ابن تغري بردي: النجوم، ج٧، ص ١٨٢؛ ذكر ذلك ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، عناية أحمد حطيط، مطابع مركز الطباعة الحديثة، لبنان، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.ص٣٠٧.

(٨٦) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٣، ص ٨٧، ج١٤، ص ١٣٣. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ١٠٣.

(٨٧) القلقشندي ،صبح الأعشى، ج١٣، ص ٤٥٩.

(٨٨) السفاتج: السفتجة وتعني أن تعطي مالاً لرجل له مال في بلد تريد أن تسافر إليه فتأخذ منه خطاً (أي سفتجة) لمن عنده المال في ذلك البلد رجاء أن يعطيك مثل مالك الذي سبق أن دفعته قبل سفرك . (الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مصر، القاهرة، ط1،١٣٠٦هـ/١٨٨٦م ،جـ٢، ص ٥٩)

(٨٩) الملك المجاهد: علي بن داود بن يوسف، تولى سلطنة اليمن بعد وفاة والده سنة (٧٢١هـ/١٣٢٣م)، ذهب إلى مكة حاجاً سنة (٧٥٠هـ/١٣٤٩م) فأسر وأخذ إلى مصر، ثم فك أسره ورجع إلى بلاده، استمر في الحكم حتى وفاته سنة (٧٦٤هـ/١٣٦٢م)
(العرشي، حسين أحمد: بلوغ المرام في شرح مسك الختام، نشر الأب ماري انستاس الكرملي، مصر، القاهرة، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م،ص)١١٤

(٩٠) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص ٢٦٤.

(٩١) نافست الإسكندرية بغداد في الزعامة التجارية، فقد كانت تأتيها سلع الشرق والغرب وتنقل منها إلى الفسطاط.
سالم، تاريخ مدينة الإسكندرية، ص ٥٧. ابن تغري بردي: النجوم، ج١٤، ص ٨٦؛ حوادث، ج١، ص ٩٦.

(٩٢) المواعظ ،ج١، ص ٢٢٤.

(٩٣) ابن تغري بردي، حوادث، ج١، ص ٩٦.

(٩٤) ابن تغري بردي، المنهل، ج٧، ص ٢٩٢.

(٩٥) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص ١٩٩. المقريزي، المواعظ، ج١، ص ٤٥١.

(٩٦) ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص ٢١٤، ج١٤، ص ١٥٨.

(٩٧) سيلان: جزيرة بين الهند والصين فيها عقاقير كثيرة لا توجد في غيرها منها الدار صيني والبقم وفيها معادن الجوهر . (الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص ٢٩٨)

(٩٨) ابن تغري بردي،حوادث، ج٢، ص ٢٨٦، ج٣، ص ٢٨٨؛.Wiet,L Egypte,p ٥٧٤ .

(٩٩) البيارم : هي العتلة، أو عتلة النجار . (الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ط٧، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.ص ١٠٧٠)

(١٠٠) شاور: أبو شجاع شاور بن مجير السعدي الهوازني، ولاه ابن رزيك الصعيد، وكان شهماً شجاعاً، لما قتل الصالح آلت إليه أمور البلاد، قتله أصحاب أسد الدين شيركوه سنة٥٦هـ/ ١١٦٨م .(ابن شداد، تاريخ الملك، ص ١٢١)

(١٠١) ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص ٣٤٨، ج٧، ص ١٨١. ابن شداد، تاريخ الملك، ص٣٠٦.

(١٠٢) أبغا: بن هولاكو بن تولي خان بن جنكيز خان جلس على العرش سنة (٦٦٣هـ/١٢٣٦م) توفي سنة (٦٨٠هـ/١٢٨٢م))الهمذاني، جامع التواريخ، ج٢، ص)٣

(١٠٣) القبجاق: أو القفجاق جنس من الترك مساكنهم الأصلية حوض نهر ارتش وتنقلوا حتى استقروا بحوض نهر اتل (الفولغا) جنوب روسيا الحالية، فعرفت تلك الجهة باسم القبجاق (بوزورث: تراث الإسلام، ج١، ص ٢٧٩)

(١٠٤) كرمان: بلاد واسعة ذات قرى ومدن بين فارس ومكران وسجستان وخراسان . (الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٥٤)

(١٠٥) ابن تغري بردي، النجوم، ح٧، ص ١٨١ ، ابن شداد،تاريخ الملك، ص٣٠٧.

(١) ابن تغري بردي ،النجوم، جـ٧، ص ١٨١ . ابن شداد ، تاريخ الملك ، ص ٣٠٧ .

(١٠٧) بحر القلزم: ويبدأ من بطون اليمن وينتهي بمدينة القلزم ومقداره ثلاثون مرحلة طولاً، ويضيق في بعض الجهات حتى يرى في بعض جوانبه الجانب المحاذي له . (الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتب، لبنان، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ،ص٣٤٨)

(٣) ابن شداد، تاريخ الملك، ص ١٠٦.

(١٠٩) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص ١٣٣، ص ١٤٤.

(١١٠) المصدر السابق، ج١٤، ص ١٣٣.

(١١١) ابن تغري بردي، حوادث، ج٣، ص ٤٠٦.

(١١٢) الكارم أو الكارمية: هم فئة من التجار كانت بأيدهم تجارة البهار الوارد إلى مصر من الهند عن طريق ثغور اليمن، وشكلوا قوة مالية اختصت بتجارة التوابل والمنتجات الهندية الأخرى.(المقريزي: السلوك، ج١، ق٣، ص ٨٩٩ حاشية رقم (٢)

(١١٣) الصالح صالح بن محمد بن قلاوون: ولي سلطنة الديار المصرية والشامية وما يتبعها سنة (٧٥٢هـ/١٣٥١م) ثم عزل عن السلطنة في شوال من سنة (٧٥٥هـ/١٣٥٤م) وفرض عليه الناصر حسن أن يقيم عند والدته واستمر على ذلك حتى توفي سنة (٧٦١هـ/١٣٥٩م) . (ابن حبيب: تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، مصر، القاهرة، ١٣٩٦هـ/١٩٩٦م.جـ٣، ص ١٧٥)

(١١٤) ابن تغري بردي، النجوم، ج٩، ص ١١٦.المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٤١٢.

(١١٥)ابن تغري بردي، النجوم، ج١٣، ص ١٠٨. لمزيد من الاطلاع انظر، ج٥، ص ٣٣٩).

(١١٦) يشبك: من مهدي الظاهري جقمق ويعرف بالصغير، وقام بحفظ دولة ابن أستاذه، ثم أصبح أحد الدوادارية الصغار أيام الأشرف اينال، ولاه الأشرف قايتباي الدوادارية الكبرى ثم أضاف إليه الوزارة والاستادارية، قتل أثناء قيادته لحملة في البلاد العراقية، سنة (٨٨٥هـ/١٤٥١م). (السخاوي: الضوء، ج١٠، ص ٢٧٢)

(١١٧) ابن تغري بردي، حوادث، ج٣، ص ٦٨٥.

(١١٨) أسيوط: مدينة في غربي النيل من نواحي صعيد مصر . (الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ١٩٣)

(١١٩) منفلوط: بلدة بالصعيد الأوسط على بعد مرحلة من أسيوط، في الجانب الغربي من النيل . (أبو الفدا: تقويم البلدان، ص١١٣)

(١٢٠) ابن تغري بردي، النجوم، ج٨، ص ١٤٩. المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص ٩٢٠.

(١٢١) بنوهلبا: وهم بطن من بطون زيد بن حرام بن جذام، ينقسمون إلى عدة بطون منهم بنو بعجة، وسويد، ومالك، ومنهم الحسينيون، والغوارنة، ومساكنهم في الحوف الشرقي من الديار المصرية . (المقريزي، البيان والإعراب، ص١٤٨)

(١٢٢) ابن تغري بردي، حوادث، ج٣، ص ٦٩٥.

(١٢٣) قطلوبغا الفخري: ولي نيابة السلطنة بدمشق سنة (٧٤٣هـ/١٣٤٢م) ولكنه لم يباشرها، كان من أعيان مصر، قتل صبراً بالسيف بأمر من السلطان الناصر أحمد في الكرك وذلك سنة (٧٤٣هـ/١٣٤٢م) . (ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص ٤٦).

(١٢٤) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص ٣٥.

(١٢٥) ابن تغري،بردي، النجوم، ج١٠، ص ١٩٩، ج١٢، ص ٢٤٧.

(١٢٦) ومنع أصحاب الأسواق من فتحها نهاراً، وأن تفتح ليلاً؛ فضر ذلك بحال الناس.ابن تغري بردي ،النجوم، ج٤، ص١٧٨؛ ج١٤، ص ٢٧٤ . ابن قاضي شهبه، الكواكب السيارة ، ص ٢٠٨.